دِيزِيرِهْ سَقّال

مُعلقة دِيزِيرِه سَقّال



دار عالم الفكر

معلقة

دِيزِيرهْ سَقَّال

دِيزِيرِهْ سَقَّال

معلقة
دِيزِيرِهْ سَقَّال

علم وخبر ٣٠٥/أد

٢٠٠٩

الطبعة الأولى ٢٠٠٩

الطبع: دار بلال للطباعة والنشر
التنفيذ والإخراج: مؤسسة زهوي ترايدنغ أند سرفيسس

مُتَفَتِّتًا بدَمِي
كأَنَّ دَمي يُقَسِّمُنِي
عَلَى رَجْعِ الثَواني. . .
مُتَفَتِّتًا
أَمْشِي إِلَيَّ كأَنَّني
نَجْمٌ يَسيرُ إِلَى المَتَاهِ على افتِتَانِ.
وجهي شَظايا
واحتِرَاقِي يَنْتَشِي في القَلْبِ
مَخذولاً،
كَأَنَّ صَفاقَةَ الزَمَنِ

الذي كَسَرَ التَفَكُّرَ
في كِيانِي
يَرْتَدُّ صَاعِقَةً على ذَاتِي،
وذَاتِي تَحْتَوي ذَاتَيْنِ
مِنْ صَدْعٍ وصَدْعٍ . . .
يَحْتَوِيني جسْمِيَ المَنْهوكُ مُنكَسِرًا
ويَكسِرُنِي زَمَانِي:
شِلْوٌ هُناكَ كَأَنَّ فِيهِ
مَغاوِرَ المَاضِي
وكَرْكَرَةَ الطُفولَةِ في المَدَى . . .

شِلْوٌ يُلاحِقُ قَلْبيَ المَسْلُوخَ عَنْ بَدَنِي
ويَطرُدُني إِلَى دُنْيَاهُ مَذْبوحًا،
وجسْمِي شاهِدٌ أَضْنَاهُ مَشهَدُهُ
وضَيَّعَهُ التَرَنُّحُ في الثَوَانِي -
أَتُراهُ كَانَ يَجُرُّ أَحْلامًا
عَلَى زَهْوِ السِنِينَ
تَسَاقَطَتْ مِثْلَ الرَذَاذِ على المَدَى
أَوْ كَانَ يَحْلمُ بالخُروجِ
إِلَى سَديمِ الحُلْمِ
لَكِنَّ الزَمانَ رَماهُ بالآتِي

فصَدَّعَهُ

وَفَتَّتَ عُنفُوَاني.

أَتُرَاهُ كَانَ رسالَةً

لِمدًى يُراسِلُ نَفسَهُ بالتَوْرِياتِ

وَتَكْتُبُ الزَفَراتُ سِيرَتَهُ،

وَتَنشَطِرُ الجراحُ عَلَيْهِ

مِثْلَ تَشَعُّبِ الطُرُقاتِ

أَوْ كالشِعْرِ

يَنْسُجُنِي على أَلَقِ القَصيدَةِ

مُسْتَحيلاً كالقَصيدَةِ وَهْيَ تَنْسُلُ في المَعاني؟ -

جسَدِي القَصيدَةُ

حِينَ سَطَّرَتِ التَجارِبُ حَرْفَها

وَسَقَتْ طَلاوَتَها عَروضُ الحُبِّ،

أَوْ سَقَتِ النُجومُ خَيالَها. . .

أَيَكونُ، بَعْدُ،

إذا انْتَضَيْتُ غرابَةَ الأحْلامِ،

أَنْ تَرْقَى إِلَيَّ بَلاغَةُ الأَعْمَاقِ

حِينَ تُغَمِّسُ الكَلِماتِ بالأَشْوَاقِ

أَوْ

أَرْقَى إِلَى وَهْمٍ

تَفَتَّح فِيَّ أَكْوَانًا
وَأَجْهَلُ مَا عَرَانِي. . .؟
أَيَكُونُ، بَعْدُ،
مَتَى سَكِرْتُ بوحْدَتي،
أَنْ أَسْتَكِينَ عَلَى الفَرَاغِ
فَأُخْرِجَ المَسْتُورَ مِنْ ذَاتِي
وَأَقْرَأَ مَا تَشَظَّى فِي جَوَانِبِهَا
مِرارًا مِنْ حَيَاتي
أَوْ أُطارِدَ رِحْلَتي في العُمْرِ
وَهْوَ يَخُطُّ أَعْماقِي

وَيَصْنَعُ لِي تَفَاصِيلَ الكِيانِ،
وأَمُرَّ في عُمْري عَلَى شَذَرَاتِيَ الأُولَى،
أَمُرَّ عَلَى عَذابَاتِي وَأَفْرَاحِي
وَأَكْتَشِفَ المَعاني؟
أَأَمُرُّ، بَعْدُ، عَلَيَّ
حِينَ تَكَشَّفَتْ ذَاتِي لِذَاتِي
ثُمَّ أَنْتَزِعُ الفَرَاغَ فَراغَهُ
فَأَعُودَ مِثْلَ يَمامةٍ
عادَتْ عَلَى أَعْقَابِها
وَتَكَشَّفَتْ فِي عَيِنِها حُجُبُ الزَمانِ؟

يا صَوْتِيَ المَغْلولَ في وَجَعي
وَفي فَرَحِي
وَفي سُحُبِ الزمانِ
وفي المَكانِ،
يا صَوْتِيَ الآتِي مِنَ الأَعْماقِ
مُدَّ إِلَيَّ دَرْبًا
تَزْرَعُ النَجماتِ فِي أَمْدائِهَا
وَتَصُوغُ مِنْها أَبْجَدِيَّةَ شِعْرِها،
وَمِنَ الكِيَانِ مِدادَهَا،
يَا صَوْتِيَ الآتِي إِلَيَّ

تَعَرَّ مِنْ جُثَثِ الحُضُورِ
وَهُبَّ. . .
هُبَّ كَأَنَّ في ذَاتِيَّ
وَجهَيْنِ استَقَامَا
تَحْتَ أَشْجَانِي وأَقْلامِي
وَفي صَدْعِ الأَمانِ. . .

* * *

لا شَيْءَ فِيَّ سِوايَ.
وَحدِي فِي فَراغٍ أَبْيَضٍ

(ذاتِي التي انْصَدَعَتْ فَراغٌ أَبْيَضٌ
وفَراغُهَا ملأَ الزمانَ) -
أَنا الزَمَانُ،
أَنَا المَكانُ،
أَنا الفَرَاغُ والامْتِلاءُ
وكلُّ مَا بَيْنِي وبَينِي
خارِجٌ مِنّي إِلَيَّ.
أَنا الغَريبُ أَمامَ ذَاتِي
وَالمَدَى حَرْفٌ
يَذُوبُ عَلَى قَصِيدَتِها

ويَفْتَحُ لِي حَيَاتِي،
وَتُشَرَّعُ الدُنيا لِدُنْيَايَ
التِي انْفَتَحَتْ لِخَاطِرَتي،
وَيَنْسَفِحُ الصَدَى مِنّي
ويَرْحَلُ في صُدُوعِي راجِفًا:
لُغَتي تَذوبُ لِتَقْرَأَ الأَشْيَاءَ
في أَعْماقِها
وَلِتَغْزُوَ التَكوِينَ
مِثْلَ بشارَةٍ أُولَى
فَأَجْمَعُ فِي قَصيدَتِها غُزَاتِي

وَأَمُرُّ مُنفَتِحًا كَصَفْحَاتِ الكِتَابِ
تُهَنْدِسُ الفَوْضَى
وَتَقْرَأُ فِيَّ فَوْضَاها
وَتَجْعَلُنِي إِلَهًا يَسْكُبُ التَكْوينَ
مِنْ غَيْبِ الحُرُوفِ
ويَرْصُفُ الكَلِماتِ خُلْدًا
في الحَيَاةِ وَفي المَمَاتِ. . .
ما كانَ أَصْعَبَ أَنْ أَغُوصَ عَلَيَّ!
أَشْهَدُنِي هُناكَ. . .
كَأَنَّ جِسْمِي لَيسَ جِسْمي

أَوْ كَأَنَّ على مُشاهَدَتِي
غُبارًا[1]
ذَرَّهُ الزَمَنُ المَديدُ. . .
أَنَا غَريبٌ في حَيَاتِي
مِثْلَ وجْهٍ ضَيَّعَ القَسَماتِ
وانْتَحَرَتْ عَلَيْهِ حَياتُهُ
فَاسْتَوْلَدَ الأَسْمَاءَ والأَشْيَاءَ:
كُنْتُ الخَالِقَ المَخْلُوقَ
أَكْتُبُ مَا وَلَدْتُ مُطارِدًا أَمْسِي،
وَتَكْتُبُنِي لِداتي،

ومُحدِّثًا نَفْسِي أُسَائِلُهَا وَتَسْأَلُنِي:
لِمَاذا غُرْتُ فِي لُغَةٍ مِنَ الأَضْوَاءِ
شَعَّتْ بَيْنَ أَضْلاعِي
فَأَوْرَقَتِ الحروفُ عَلَى قَصَائِدِها
وَشَلأَنِي الزَمَانُ
فعُدْتُ مُنْقَسِمًا عَلى ذَاتِي بذَاتِي؟
كَيفَ أَحْلمُ بالسُكُونِ
وَحَوْلِيَ الدُنْيَا ضَجيجٌ مُسْتَحيلٌ؟
كَيْفَ أَقْرَأُ في أَنَاشيدِ الخُلُودِ
صَفَاقَةَ الزَمَنِ الطوِيلِ

وَأَرْتَدِي لَحَظَاتِهِ حَتّى تُوَارِيَنِي
وَأَمْضِي في ذُهُولِي، مُرْهَقًا،
تَأْوِي إِلَيَّ قِراءَةُ اللَحَظَاتِ
ثُمَّ تعودُنِي، إنْ غِبْتُ مُنْكَسِرًا،
فَأُبعَثُ في رُفَاتِي؟
وَإِذَا اكْتَشَفْتُ
وَطارَ بي نَسْرُ اليَقِينِ
نَظَرْتُ مَعْرِفَتي
ولا شَيْءٌ سِوايَ بها
وَمَا حَوْلِي سِوايَ

كَأَنَّمَا الدُنْيَا فَرَاغٌ فاتِنٌ،

وَكَأَنَّمَا الأَشْيَاءُ ذَاتٌ مِنْ ذَوَاتي

تأوِي إِلَيَّ غريبةً

وَأَنَا غريبٌ في حَياتي؟

* * *

يَكْفِي الكِتابُ لِكَيْ أَقُولَ:

تَجَمَّعَتْ نَفْسِي.

وَلَكِنَّ الحُروفَ تشُدُّنِي للآخَرينَ

فلا أَرَى فِيهِمْ سِوَايَ،

ولا أَرَى إِلاّيَ في لُغَتي:

أَنا مَلأٌ وَحيدُ!

وَأَنا اللُغاتُ،

أَنا المَدَى،

وَأَنَا التَمَوْضُعُ في الزَمَانِ وفي المَكَانِ،

أَنا البدايَةُ والنِهَايَةُ

والفَراغُ والامتِلاءُ،

أَنا الحروفُ،

أَنا النشيدُ. . .

تَتقَاطَعُ الأَكْوَانُ فِيَّ

وَأَرْتَدِي أَزْمَانَها لَونًا وَصَوْتًا. . .
غَيْرَ أَنّي، حينَ يَكْسِرُنِي الزمانُ،
أَصيرُ كُلَّ الناسِ في الدُنْيا –
أَنا مَلأٌ وَحيدُ!

* * *

هَلْ كَانَ يَكْفينِي الزَمانُ لِكَيْ أَرُدَّ مَلامِحِي
أَوْ أَسْتَسِيغَ عَلاقَتِي بالوَقْتِ؟
هَلْ كَانَتْ «أَنَايَ» تَجِيءُ
مِنْ سِمْتٍ بَعيدٍ

يَرْتَدِي لَوْنَ الوجُودِ
وَتَنْتَهِي فِيهِ طَرِيقي؟
لا شَيْءَ يَكْشِفُنِي عَلَى الأَشْيَاءِ مِنْ حَوْلِي،
وَلَكِنّي أُكَاشِفُهَا شُجُونِي
ثُمَّ أَفْتَحُهَا لِتَرْحَلَ في عُروقِي.
كُلُّ المَدَى مُتَرَبِّعٌ فِيَّ:
اَلْمَكانُ وَسَاكِنُوهُ،
وَالزَمَانُ، وَرَفَّةُ الأَنْسَامِ،
وَالبَسَمَاتُ، والدَمَعَاتُ،
والحُرَقُ التِي تَأْوِي إِلَى الأَعْمَاقِ،

وَالشَغَفُ الذِي يَغْزُو الذَوَاتِ وَنارُهُ. . .

كُلُّ المَدَى مُتَرَبِّعٌ. . .

وَمَدَايَ أَضْيَقُ مِنْ رَنِينِ الصَمْتِ في قَلْبي

وَمِنْ شَجَنِي الرَقيقِ. . .

كُلُّ المَدَى يَلْتَمُّ فِيَّ

كَأَنَّهُ إِيقَاعُ أُغْنِيَةٍ تُوَشِّحُهَا الحُرُوفُ،

وَتَرْتَوِي مِنْ أَبْجَدِيَّةِ كَائِنِي،

وَأَصُوغُ مِنْهُ تَساؤُلاتِ الذاتِ:

مَنْ أَنَا؟ أَيُّ ذاتٍ تَعْقُبُ الكَلِمَاتِ؟

أَيُّ غرابَةٍ تَلْتَمُّ فِي الحَرْفِ العريقِ؟

وَأَنَا أَكُونُ إذا رَفَعْتُ قَصيدَتِي

فِي وَجْهِ هَذا الكَوْنِ

وَالْتَمَّ الكِيانُ عَلَى بَريقي.

* * *

هَلْ كَانَ يَكْفِينِي

مُرُورُ الحُلْمِ في عَينَيَّ

والأَلْوَانُ وَهْيَ تُواكِبُ الأَحْلامَ

حِينَ يَهِيجُهَا زَمَنٌ ثَقِيلُ؟

ذَيّاكَ لَوْنُ طُفولَتِي

يَأْتِي إِلَيَّ بِأَبْيَضٍ:
أُمّي... أَبي... جَدّي... وجَدَّتِيَ الذِينَ
تَجَمْهَرُوا حَوْلِي،
وَعادُوا فِيَّ أَصْوَاتًا وَأَخْيلَةً تَدَاعَتْ
ثُمَّ طَرَّزَهَا لِقَاءٌ مُسْتَحِيلُ...
وَتَواتَرَتْ صُوَرُ المُرَاهَقَةِ
اُلتِي حمَلَتْ «أَنَايَ»
على اُنْفِلاتِ الحُلْمِ...
يَكْفِي أَنْ أَرَى لأَرَى «أَنَايَ»
تَناسَلَتْ فِي ذاتِهَا

وَتَفَتَّحَتْ فِيَّ التَجارِبُ
مِثْلَ أَزْهَارِ الحُقُولِ،
وَعادَنِي صَوْتٌ مَلُولُ
يَأْوِي إِلَى ذَاتِي مِنَ الزَمَنِ البَعِيدِ،
وَأَلْتَقِينِي فِي مَفارِقِهِ
وُجُوهًا وَزَّعَتْ أَحْلامَهَا فِي ذَاتِهَا
وَتَوَاصَلَتْ بَيْنَ الثوَانِي:
كُلُّ ثَانِيَةٍ تُحَمِّلُهَا بِأَلْوَانٍ،
وَيَرْقُصُ حَوْلَهَا حُلُمٌ جَمِيلُ.
زَمَنٌ يَمُرُّ عَلَى الزَمَانِ

وَفِي مَدَايَ غَرَابَةٌ،

وَمَدَايَ أَغْرَبُ مِنْ ذُهُولِ النَاسِ

فِي قَلْبِي.

أَنَا مَلأٌ وَحِيدٌ

تائِهٌ فِي قِمّةِ الدُنْيَا.

أَنَا الدُنْيَا

وَكُلُّ ضَيَاعِهَا العَارِي.

أَنَا الصَبْرُ الثَقِيلُ

مُتَرَدِّدًا بَيْنَ انْسِكَابِ الوَقْتِ فِي ذَاتِي.

أَنَا الحَرْفُ المُضِيءُ،

أَنَا الذُهُولُ...

أَنَا الذُهُولُ...

* * *

تَكْفِي القصيدةُ كي أَرُدَّ مَلامِحي.

وَجْهِي علَى وَجْهِي أُلُوفُ الناسِ.

وَجْهِي وَطْأَةُ الوَقْتِ الثقيلِ،

ووجْهِيَ الماضِي الذِي لَمْ ينتظِرْ...

وَأَنا حُروفٌ في كِتَابِ العُمْرِ،

مِرْآةٌ مِنَ الهَذَيَانِ

أَعْكُسُهَا وتَعْكُسُني

وَأَقْتَنِصُ الحَياةَ مِنَ الظلامِ.

تكفي القَصِيدَةُ كَيْ أَرُدَّ مَلامِحِي

وَمَلامِحَ الزَمَنِ الذي انْكَسَرَتْ هُوِيَّتُهُ.

أَمُوتُ... أعيشُ...

ثُمَّ أَمُوتُ... ثُمَّ أَعِيشُ...

صَعْبٌ أَنْ تَصِيرَ قصيدةً في هذِهِ الدُنيا

وصَعْبٌ أَنْ تَقومَ مِنَ الحُطامِ!

* * *

مَرْمَايَ مِثْلُ الجُرْحِ في جُدْرانِ لَحْمي

أو... صدًى،

وَطُفولَتي شَجَنٌ لَذيذٌ.

كُلَّمَا أخْرَجْتُها مِنْ قلعَةِ النِسْيَانِ نَحْوي

عَانَقَتْني

وَارْتَدَتْ لَوْنِي

وهَدْهَدَها مَنامِي:

سَأَصِيرُ مَا حَلِمَتْ بِهِ ذَاتِي،

أَصِيرُ مَدًى مِنَ الإِشْعَاعِ

أَوْ رَجُلاً

يَرُدُّ الوَقْعَ للدُنْيَا.
أَصِيرُ مَجرَّةً
في سِمْتِ هَذا العَالَمِ المَنْهوكِ
أوْ
شِعْرًا يُرَنِّمُ في القَتَامِ...
لَكِنَّنِي أَنْسَاقُ فِي مُسْتَنْقَعِ الزَمَنِ الهَجينِ
وأَحْتَمِي بالوَقْتِ.
تُخْرِجُنِي «أَنَايَ» مِنَ الزَمانِ
إلى الزَمَانِ،
وَأَرْتَدِيها كُلَّمَا سَاءَلْتُ نَفْسِي:

«مَنْ أَنَا؟»
وَأَغِيبُ في شَجْوِ الفَراغِ اللازَوَرْدِيِّ
الذِي زَرَعَتْهُ ذاكِرَتي
فَأَحْمِلُنِي إِلَى نَفْسِي
وَيَنْخُرُنِي الصَدَى... حَتَّى عِظَامِي.
أَأَظَلُّ فِيَّ مُطَارَدًا
يَعْدُو بقَلْبِي شَوْقِيَ اللَهَّاثُ
حِينَ أَغِيبُ فِي حُلُمٍ
وَتَتْرُكُنِي القَصِيدَةُ خائرًا
أَرْتَاحُ وَحْدِي في اعْتِصَامي؟

مَرْمَايَ مثلُ الجُرْحِ يُخرِجُنِي إِلَيْهِ
فأَرْتَديهِ وارِفًا
وَأَطِيرُ في فَلَكِ الفَرَاغِ مُتَوَّجًا بالصَمْتِ
أَحْمِلُ ذاتِيَ الوَلْهَى إِلَى ذَاتِي
وَأُخْرِجُنِي إِلَيَّ
فأَصْدَعُ الأَشْياءَ بالأَشْيَاءِ
والجُدْرانَ فِي ذاتِي
ويُعْجِبُنِي ارتِطَامي.
سَأَصِيرُ مَا حَلِمَتْ بهِ ذاتِي،
أَصِيرُ قصيدةً أَقْوى مِنَ الزمَنِ الهَجينِ

تَرُدُّنِي نَغَمًا على دُنيا الأَنَامِ -
أَوّاهُ،
ما أَقْساكِ يا ذاتي!
أَموتُ... أَعيشُ...
ثُمَّ أَمُوتُ... ثُمَّ أَعِيشُ...
صَعْبٌ أَنْ تَصِيرَ قَصيدةً في هذِهِ الدُنيا
وصَعْبٌ أَنْ تَقومَ مِنَ الحُطامِ!

* * *

أَلحاضِرُ المُمْتَدُّ في شَجَنِ العَذابِ

يَحُوكُ في قلبي نَسيجَ العَنْكَبوتْ
ويُلَوِّنُ الأَلَمَ المُضَغْضَعَ بالصَدَى
فَيَضيعُ وَجْهِي
في وُجوهٍ أُتْرِعَتْ وَقْتًا
وآثَرَتِ السُكُوتْ. . .
وَجْهي خَريطَةُ عُمرِيَ المَسْكونِ
بالأحْلامِ
يَنسُجُها حُروفًا
مِثْلَمَا تَشْتَدُّ روحِي
فِي ضَبابِ قَصيدةٍ

وَتَذوبُ فيها أَوْجُهًا مَحبوكَةً بالسِرِّ.
وَجْهِي يَفتَحُ العُمرَ الرَهيبَ
عَلى امتِدادْ الشِعْرِ
أَوْ يَلتَمُّ فِيهِ تَراجِمًا
في أَسْطُرِ الوقتِ الصَمُوتْ،
وَيَرُدُّنِي وَهْجًا
عَلَى وَهْجِ الزَمانِ المُسْتَطِيلِ
مَتَى تَثاءَبَتِ الثَوَانِي
وَاسْتَمَعْتُ إِلَى غَطِيطِ الصَمْتِ
فِي أَعْمَاقِ أَيّامِي.

وَلَكِنّي أُسَائِلُ صَمْتِيَ المَغْمُوسَ
بالأَرَقِ الطَويلِ:
مَنِ الذِي يَأْتِي إِلَيَّ
وَيَلْتَقِينِي مُسْتَحِيلاً في طَرِيقِ العُمْرِ
تَرْجُمُهُ تَبارِيحُ الدُرُوبِ
فَلا يُمِيتُ وَلا يَمُوتُ؟
أَأَظَلُّ في قَلْبي احْتِباسًا
مِنْ ضَميرِ الغَيْهَبِ المَسْكونِ
بالْوَقْتِ الثَقيلِ،
أَظَلُّ فِي سَكَناتِ هَذَا اللَوْنِ مُشْتَعِلاً،

ومُشْتَعِلاً أَنامُ عَلى «أَنايَ»
مُضَرَّجًا بتَجارِبي،
ومُضَرَّجًا بقَصِيدَةِ الزَمَنِ
اَلذي يَغْتالُني
فأَعُودَ مُقْتَصًا مِنَ الأيّامِ
مَا اسْتَلَبَتْهُ مِنْ ذَاتِي
لأُشْعِلَهُ بَخُورًا في حُقولِ الشِعْرِ
أَعْلَى مِنْ جُنونِ الوَقْتِ؟
آهِ، أَيُّهَا العُمْرُ الذي يَخْتَالُ
كاللِصِّ المُقَنَّعِ

في دُجُنّاتِ البيوتْ!

* * *

أَلليلُ أَقسَى مِنْ صُراخِ مرارَتي
ومَدايَ ظِلٌّ مُتْعَبٌ في وحدةٍ
يَلْتَاعُ مِنْ دَمِهَا الضَمِيرُ.
مَاذا، تُرى، تَستَقْرِئُ الدُنْيا عَلَى شَجَنِي،
وَوجْهِي ذائبٌ في الصَمْتِ؟
وَجهِي مُرْهَقٌ
يَنْصَاعُ للأَحْلامِ

أَوْ يَشْتَفُّهُ وَجْدٌ قَصِيرُ.
وَجْهِي هُلامٌ سَالَ عَبْرَ الحُبِّ
في شَغَفٍ
وَذاتِي صَدَّعَتْهَا سُلْطَةُ الزَمَنِ الخَبيثِ
وَكَوَّمَتْ ذَاتَيْنِ مِنْها في ضَمِيري:
كُلُّ ذَاتٍ شَجَّهَا حُبٌّ
فأرَّختِ العَذَابَ،
وَكُلُّ ذَاتٍ ذَاقَتِ الفرَحَ
المُزَغْرِدَ في الهُيَامِ
وَتَاهَ فِي أَحْلامِهَا الأَبَدُ الصَغِيرُ.

أَوّاهُ يا ذَاتِي وذَاتِي. . .
كُلَّمَا أَرَّخْتُ للأَشْوَاقِ عُمْرًا
رَدَّني العُمْرُ الثقيلُ إِلَى القَرارِ
وَرَاحَتِ الأَشْوَاقُ تَصْدَعُنِي
وَراحَ يَقِينُ عَيْنَيْهَا يُحاصِرُنِي
ويَسْكُبُنِي عَلَيْهَا غيمَةً
مِنْ نَسْمَةِ الفِرْدَوْسِ
أَوْ يَرْقَى إِلَى قَلْبي أَثيرُ
وَيُعيدُنِي فِيهِ إِلَيَّ
كَأَنَّمَا لا شَيْءَ يَثْبُتُ:

لا وُجُودَ وَلا غِيَابَ
وَلا مُراوَحَةٌ
عَلَى مَلَكوتِ هذا القَلْبِ. . .
كلُّ الكَوْنِ سالَ أَمَامَهُ
وَتَلَوَّنَتْ ذاتِي بذَاتِي -
كُلَّمَا غَادَرْتُها رجعَتْ
وعُدْتُ إِلَيَّ. . .
تَسْكُنُني «أَنَايَ»
كأَنَّهَا فِيَّ المَصيرُ.
لا شَيْءَ يَثبُتُ. . .

لا وُجودَ ولا غِيابَ

ولا «أَنايَ» «أَنايَ» أَوْ عَيْناكِ عَيناكِ –

اُسْتَكينِي فِيَّ، يا أَبَدِي،

وَرُدِّينِي إِلَيَّ

لَعَلَّ فيكِ شَفاعَةً تُؤْوِي ضَيَاعِي،

أَوْ لَعَلِّي،

بَيْنَ أَحلامٍ وأَحْلامٍ،

أُفيقُ عَلَيْكِ مرتَعِشًا

فَتَأْخُذَنِي إِلَى الفِرْدَوْسِ عَيْناكِ

اُللتَيانِ تَفَتَّحَتْ غابَاتُ لَوْزِهما،

وذَاتِي في المَدَى وَجَعٌ مُثِيرُ.

لَمْ أَجِدْ وَقْتًا لأَكْتُبَ إِسْمِيَ العَبَثِيَّ

في عينيكِ،

لَكِنّي قَرَأْتُ بِهِ النَدَى

وَسَمِعْتُ رَجْعَ قَصِيدَتِي فِيهِ

كَأَنَّ الأَبْجَدِيَّةَ لَوَّنَتْ إِيقاعَها

في عُشْبِ عَيْنَيْكِ.

اُنْتَظَرْتُ «أَنايَ» تُحْضِرُنِي إِلَيَّ

ولَمْ أَكُنْ!

وَسَّعْتُ صَوْتِي في المَدَى

فَتَقَلَّصَتْ دُنْيَايَ فِي عَصَبي
وَأَسْدَلَ رُؤْيَتِي فَيْضٌ كَبيرُ:
لا شَيْءَ يَثْبُتُ:
لا وُجُودَ... ولا غِيَابَ...
ولا مراوَحَةٌ...
عَلى مَلَكوتِ هَذا القلْبِ.
كلُّ الكَوْنِ أَسْكُنُهُ ويَسْكُنُنِي
وَيَرْشَحُ مِنْ تَعالُقِنَا العَبيرُ،
وَأَظَلُّ فِيهِ قَصيدَةً
تَخْتالُ في دَمِها -

أَنا أَلَقُ الحُضورِ،
أَنَا المَصِيرُ...
أَنَا المَصِيرُ...

* * *

تأوي إلَيَّ تَجارِبٌ
هَصَرَتْ ضَميرَ الوَقْتِ
في حُمّى غِيابي
والمَدى - كلُّ المدى - حُلُمٌ
يُراوِحُ في حُرُوفِي

حِينَ يَحْتَشِدُ الزَمَانُ على القَصيدَةِ
شامِخًا،
لكِنّهُ تَتَقَزَّمُ الأَطْرافُ فِيهِ
وَيَرْتَدي لَوْنَ السَرابِ
وَيَصيرُ لَفْحًا مِنْ هدوءِ اللَوْنِ
عَبْرَ هُبُوبِ تاريخي،
ويَحْمِلُهُ الضَبابُ عَلَى ضَبابِ. . .
يَتَناسَلُ الوَقْتُ الطويلُ
على جُنونِ اللوْنِ في حَرْفِي
وتَنْحَلُّ الحروفُ صَدًى لأَلْوَانِ

تَمرُّ عَلَيَّ مِثلَ الوَحْيِ
حِينَ تُكاشِفُ الأحلامُ ذاتِي سِرَّها
وَيَرُدُّنِي الوَحْيُ المُجَنَّحُ
هَمْسَ أصداءٍ تمرُّ كَهَسْهَساتٍ
لَونُها لَوْنُ الترابِ
لِتُطِلَّ منْهُ نَغْمةً سِرّيّةً
يَقتادُها صَوْتُ القصيدَةِ نَحْوَ ذاتي
أوْ تُقَلِّصُ جانِحَ الأَبَدِيَّةِ المَمْدودَ فِيَّ
وَأَسْتَسيغُ النَغْمَةَ البيضاءَ
تَرْحَلُ في اضْطِرابي. . .

وتَسِيلُ ذاتي في عُروقِ الشِعْرِ

خَمْرًا لازَوَرْدِيًّا

يُهَدْهِدُ أَنَّةَ الصَوْتِ العَميقِ

وَيَصْطَفيني مِثْلَ لَحْنِ مَلائِكِ الفِرْدَوْسِ

إِذْ يَتَكَسَّرُ الوقْتُ المُرائِي

في الحروفِ، وعِنْدَ بابي.

لا شَيْءَ فِيَّ سِوايَ...

لا مُتَكَسِّرًا في الوقْتِ غَيْرُ الوَقْتِ،

لا حَيًّا سِوَى أَلَقِ القَصيدَةِ فِي المَدَى -

ذاتِي المَدَى،

ذاتِي الشَرَارَةُ في ارتِعَاشَاتِ المَدى،

وأَنا وَحِيدٌ في غِيَابي...

❋ ❋ ❋

مُتَماسِكٌ بدَمي

ومُنحَلٌّ عَلَيْهِ كأَنّني تِرْياقُهُ.

آوِي إِلَيَّ

وَأَسْتَرِدُّ مَلامِحِي؛

لكِنَّنِي في غَمْرةِ الأشْياءِ

أَعْرَقُ في الثوَانِي،

وَيَمُرُّ بي زَمَنٌ، صَفِيقٌ
هَامِسًا: «شَاخَتْ يَداكَ،
يُهَا العَريقُ،
وَغَارَ فِيكَ الضوْءُ،
وَانحَفَرَتْ بجلْدِكَ دَمغَةُ العُمْرِ.
اُنتَظَرْتَ عَلَى المسَافَةِ شامِخًا،
لَكِنَّ صَمْتَكَ شَقَّهُ الزَمَنُ القَوِيُّ
وَرَضَّهُ هَوْلُ الزمانِ...»
آوِي إِلَيَّ وأَسْتَرِدُّ مَلامِحِي:
وَحْدِي المَدى...

وَحْدِي الزَمَانُ
وَكُلُّ مَا حَولي هَبَاءٌ ضائِعٌ...
وَحْدِي المَكانُ
وَفي جهَاتِي تَسْكُنُ الأيّامُ
وَالأحْلامُ والدُنيَا،
وَيَسْجُدُ لي مَكانِي...
وَأَنا رَنِينُ الوَقْتِ في قَلْبي
يَمُرُّ عليَّ مَذْهُولاً
وَأَبْقى هَائِلاً
في حَرْفِيَ المَسْكونِ بالأَلَقِ السَماوِيِّ العَمِيقِ،

أَرُدُّ وَجْهِي أَلْفَ وَجْهٍ في المَدَى،
وَأَرُدُّ جِسْمِي في القَصِيدَةِ
كُلَّ أَجْسَامِ البَرَايَا
وَهْيَ تَنْسُلُ في المَعَاني...
وَأَنَا السَنا بالشِعْرِ مُؤْتَلِقًا،
أَنا رَجْعُ الصَدَى
فِي ذَاتِيَ الظَمْأَى إِلَى أُفُقِ الخُلودِ،
أَنَا المَدَى والعُمْق
في طُرُقاتِيَ المَلأَى بذاتِي
وامْتِداداتِ المَكانِ

وفي الزَمانِ...

* * *

وَيَزورُنِي المَوتَى،
يُلَوِّنُهُمْ غِيَابٌ حَامِضٌ،
وَبِصَوْتِهِمْ صَمْتٌ مَريرُ.
وِطْءٌ أَشَدُّ رَهَافَةً
مِنْ مَلْمَسِ الغَيْمِ.
اْنتَظَرْتُ حُضُورَهُمْ،
وَتَقَاسَمَتْنا هَمْسَةٌ سِرِّيَّةٌ.

يا وَقْتُ، كَسَّرَكَ الرَدَى
وَتَضَاحَكَ المَوتَى مِنَ الزَمَنِ الثَقيلِ -
يَزُورُني المَوْتَى
ويَحْمِلُهُمْ غِيَابٌ أَوْ حُضورُ.
لا فَرْقَ فِي أَلَقِ الفَرَاغِ السَرْمَدِيِّ. . .
تُرَى يُقيمُونَ المَآتِمَ فِي عَوالِمِهِمْ
وَيَحْتَفِلُونَ بالذِكْرَى
إِذا حَمَلَ الغِيابُ نَسِيبَهُمْ؟
يا مَوْتُ، هَلْ يَتَعَطَّرُ المَوْتَى؟
وهَلْ يَتَكَلَّمُونَ

إِذَا تَذاكَرَ بعْضُهُمْ ما كَانَ؟
هَلْ يَسْتَذْكِرُونَ الأَهْلَ
أَوْ يَسْتَرْجِعُونَ الذِكْرَيَاتِ؟
وَهَلْ هُمُ يَتَنَدَّرُونَ
إِذَا أَحَسُّوا بالمَلالَةِ مِثْلَنا؟
كَسَرَتْكَ، يا مَوْتُ، القصائِدُ،
قَوَّضَتْكَ عَرائسُ الشِعْرِ.
اسْتَلَلْتُ «أَنايَ» مِنْكَ،
وَضَجَّ في قَلْبي النُشُورُ،
وَهَوَتْ فِخَاخُكَ فِي مِدَادِي

وَهْوَ يَرْسُمُنِي عَلى رَقْصِ الحروفِ

وَيَرْسُمُ الدُنْيَا.

نَجتْ دُنْيايَ مِنْكَ

وَصارَتِ الأَشْياءُ بَوْحًا مِنْ أثيرٍ. . .

كُلُّ شَيْءٍ عَادَنِي،

وَتَجَمَّعَتْ ذاتِي بذاتِي.

وَاسْتَلَلْتُ «أَنايَ» في أَلَقِ القَصِيدَةِ.

كُلُّ مَا حَوْلِي نُهوضٌ أَوْ عُبُورُ

وَأَنا التَوَسُّطُ

بَيْنَ هَذَا الكَوْنِ والأَبَدِيَّةِ البَيْضَاءِ،

بَيْنَ الخُلْدِ وَالعَدَمِ الصَفِيقِ -

أَنا الحُضُورُ

تَتَرَاقَصُ الكَلِمَاتُ في أَبَدِيَّتِي

وَيَقُودُنِي الشِعْرُ الكَبيرُ

وَأَظَلُّ فيهِ قَصِيدَةً تَخْتَالُ في دَمِها -

أَنا أَلَقُ الحُضُورِ،

أَنا النُشُورُ. . .

أَنا النُشُورُ. . .

* * *

أَلْحَاضِرُ المَسْكُونُ بالزَمَنِ الهَجينِ يشُدُنِي
وَتَشُدُّنِي فِيهِ خُرَافَاتٌ
يُقَالُ لَها اليَقِينُ.
لا شَيْءَ فِيهِ سِوايَ،
لَكِنّي أُوَزِّعُهُ
عَلَى أَشْلائِيَ المُتَناثِرَاتِ وَأَرْتَدِينِي
كُلَّمَا قَامَ اليَقِينُ عَلَى دَلِيلٍ
أَوْ تَثَاقَلَتِ الحَقِيقَةُ في مَدَايَ:
أَنَا الحَقِيقَةُ في الوجُودِ،
أَنَا الأَمِينُ.

لا شَيْءَ يَثْبُتُ غَيرُ ذَاتِي،
فانْتَحِرْ، يَا وَقْتُ،
وَأَنْكَأُ جُرْحَكَ المَفْتُوحَ
في أَعْمَاقِ خَاصِرَتِي. . .
أَنَا وَحْدِي الحَقِيقَةُ فِي الوُجُودِ،
أَنَا الحَوَاشِي والمُتُونُ،
وَأَنا هُيَامُ القَلْبِ
حِينَ يَفيضُ فِيهِ الوَجْدُ
أَوْ أَلَقُ العُقُولِ
إِذَا تَأَلَّقَ فِي تَفَتُّحِهَا يَقِينُ. . .

لا شَيْءَ يُفْلِتُ مِنْ مَدَايَ سِوايَ. . .

لا تَغْييرَ يَحْمِلُنِي

وَلا تَنْقِيبَ فِي بَحْرِ المَعارِفِ

وَاكْتِشافَاتٍ تُحَرِّكُ وُجْهَةَ الأَكْوَانِ. . .

لا تَغْييرَ. . .

وَحْدِي ثابِتٌ فِي عَالَمِ المُتَغَيِّرَاتِ

وَوَحْدِيَ المُتَغَيِّرُ الأَبَدِيُّ

وَالصَوْتُ المُدَوِّي

وَالرَنِينُ. . .

وَحْدِي أَنَا فِي الكَوْنِ

أَكْسِرُ مِنْ ذَوَاتِي حِبْرَهَا وَخُمُورَها

وَأَصُبُّهَا فِي الحُلْمِ

حَتّى تَسْتَحِيلَ الحُلْمَ

أَوْ أَذْرُو عَلَيْهَا الأَبْجَدِيَّةَ

ثُمَّ أَجْعَلُها القَصِيدَةَ -

يَا قَصِيدَةُ،

هَدْهِدِينِي. . .

وَاحْمِلِينِي عَالِيًا فِي سِمْتِكِ المَفْتُوحِ

وَاشْتَعِلِي بِأَشْوَاقِي

كَأَنِّي جَمْرَةٌ مِنْ بُرْتُقَالِ الشِعْرِ

تَخْتَصِرُ المَدَى،

وَكَأَنَّنِي فيكِ السَجينُ.

يا قَصِيدَةُ،

وَلْيَكُنْ صَوْتٌ بصَوْتٍ:

كُلَّمَا هَدَأَ الصَهِيلُ هَبَبْتُ فِيَّ

وَشَرَّدَتْنِي لَهْفَتِي،

وَمَتَى هَدَأْتُ مِنْ عَجَبٍ -

«أَنَايَ» تَصَدَّعَتْ فِي وَجْدِهَا

وَتَصَدَّعَتْ فِي أَرْضِهَا

كَالشِقِّ مِنْ عُنْفِ الزَلازِلِ.

زَلْزَلَتْنِي رُؤْيَتِي

وَتَجَمْهَرَتْ حَوْلِي المَنُونُ.

يَا شِعْرُ،

سَلِّطْ جَمْرَكَ العَارِي عَلَيَّ

وَكُنْ ثَقافَتِيَ التِي تَتَواجَهُ الأَزْمانُ فِيهَا

وَلْيَكُنْ أَبَدٌ حَنُونُ

مِنْ حُلْمِكَ المُزْدَانِ باللاوَقْتِ،

وَلْيَكُنِ الجُنُونُ

أَعْلَى مِنَ المَوْتِ الهَجينِ -

أَنَا الذي تَرَكَ الوُجودَ عَلَى فرَاغِ خَوَائِهِ

وَاقْتادَهُ حَرْفٌ حَنُونُ،

وَأَنا القَضِيَّةُ فِي خَفَايَا أَبْجدِيَّتِيَ الكَبيرَةِ

سَلَّطَتْ سَيْفَ القَصيدَةِ

فَوْقَ أَطْرَافِ المَدَى نَارًا،

أَنا الشِعْرُ العَظِيمُ،

أَنا اليَقِينُ...

أَنَا اليَقينُ...

❋ ❋ ❋

يَأْتِي إِلَيَّ المَوْتُ

ثُمَّ يَعُودُ مُنْهَزِمًا.

تُحفِرُ وَجْهِيَ الأَيَّامُ.

يَضرِبُنِي بسُنْبُكِهِ الزَمَانُ،

يَرُدُّنِي فِلَذًا عَلَى فِلَذِي،

وَتَعْصِرُنِي الثَوَانِي.

يَهْوِي عَلَيَّ العُمْرُ مِنْ ثِقَلٍ...

وَذَاتِي تَسْتَوِي فِي عُمْقِ أَعْمَاقِي:

تُطَرِّزُهَا تَجارِبُها،

وَتلأَمُهَا نوائِبُهَا،

وَتَحْمِلُهَا الأَمَانِي

وَتَرُدُّهَا ذَاتًا بِعُمْقِ الكَوْنِ.
عُدْ، يَا مَوْتُ، وَحْدَكَ خَائِبًا،
سَتَظَلُّ وَحْدَكَ خَالِقًا
لا نَسْلَ مِنْهُ، ولا وَرِيثَ. . .
وَشُدَّ عَرْشَكَ بالزَمَانِ وبالمَكانِ
وَتَخَيَّرِ المَوْتَى،
وَلُمَّ بصَوْلَجانِكَ هَيبةً عَبْرَ المَدى،
وَاسْتَنْزِلِ الخَوْفَ الصَفِيقَ
فلَمْ تَلِدْ وَلَدًا يَقولُ: أُحِبُّ!
لَمْ تَسْكُنْ بقلْبِ عَاشِقٍ يَشْتَاقُ صَوْتَكَ.

وَحْدَكَ المَنْفِيُّ فِي المَنْفَى
وَوَحْدَكَ سَاكِنُ الأَبَدِيَّةِ القَفْرَاءِ،
وَحْدَكَ فارِغٌ فِي قَلْبِكَ الذَاوي المُهَانِ.
سَتَظَلُّ تَعْدُو فَارِغًا فِي عُقْمِكَ الأَبَدِيِّ
تَنظُرُ عَرْشَكَ الخَاوِي
وَبابُكَ مُغْلَقٌ فِي قِمَّةِ الدُنْيَا.
وَحِيدٌ فِي سَرِيرِكَ، حِينَ تَرْقُدُ،
لا شَرِيكَ،
وَحِينَ تَنهَضُ لا شَرِيكَ،
وَتَرْتَمِي فِيكَ المَلالَةُ

مِثلَ عُشِّ العنكَبوتِ. . .

هُناكَ، يَا مَوْتُ، اعْتَصِمْ

وَتَرَبَّصِ الأَحْيَاءَ

وَازْرَعْ بالمَدَى الأَشْرَاكَ

وانْتَظِرِ الفَرِيسَةَ فِي الزمَانِ. . .

أَطْلِقْ سِهَامَكَ مِثلَ قَنّاصٍ خَبيرٍ بالطَرائِدِ

وَانْتَظِرْنِي فِي ثَنَايَا الوَقْتِ

وَارْفَعْ صَوْلَجانَ الهَوْلِ في مَلَكُوتِكَ الخَاوِي

وَهُبَّ عَلَى حُدُودِ الزَائِلِينَ

لِكَي تَرَاني. . .

أَنَا هَهُنا

مُتَوَحِّدٌ فِي الحَرْفِ،

أَخْضَرُ مِثْلَ سُنْبُلَةٍ،

أَخُطُّ زَمَانِيَ المَفْتُوحَ للآتِينَ عَبْرَ قَصيدَةٍ

وَأَظَلُّ أَعْلَى مِنْ زَمَانِي،

أَيُّهَا المَوْتُ العَقِيمُ،

أَظَلُّ فِي مَلَكُوتِكَ المُمْتَدِّ حُلْمًا مُسْتَحِيلاً

لا تُطَاوِلُهُ شِراكُكَ،

ثُمَّ أُولَدُ كُلَّ يومٍ فِي الحُرُوفِ وفِي القَصائِدِ.

كُلَّمَا دَقَّتْ يَدَاكَ عَلَى فُؤادِي لَمْ تَجدْني.

كُلَّمَا رَكَضَتْ كِلابُكَ خَلْفَ خُطْوي لَمْ
تَجِدْنِي.
كُلَّمَا امْتَدَّتْ يَدَاكَ إِلَيَّ
رَدَّتْهَا القَصائِدُ
وانْكَسَرْتَ عَلَى كِيَانِي.

* * *

لا شَيْءَ فِيَّ سِوَايَ.
لا مُتَصَدِّعًا، يَا مَوْتُ، فِيَّ سِواكَ:
تَأْتِي ثُمَّ تُهْزَمُ خَائِبًا.

لا شَيْءَ يَثْبُتُ غَيْرُ ذاتِي فِي المَدَى،
و«أَنَايَ» يَجْمَعُهَا صَهِيلُ الشِعْرِ.
يا شِعْرُ، احْتَشِدْ فِي أَرْضِيَ العَطْشَى
وَفَجِّرْ مَاءَهَا وَزُرُوعَهَا
وَافْتَضَّ بِكْرَ حُرُوفِها،
وَكُنِ اللَظَى والزَمْهَرِيرَ،
كُنِ التَوَحُّدَ فِي انقِسامِ الزَائِلينَ،
وكُنْ سِرَاجَ العَارِفِينَ،
يُسَوِّرِ الدُنْيَا اليَقِينُ.
يَا شِعْرُ،

سَلِّطْ جَمْرَكَ العَارِي عَلَيَّ
فَيَسْتَقِيمَ الخُلْدُ فِي ذَاتِي
وَيَهْوِي المَوْتُ عَنْ رُوحِي،
وتَنْهَزِمُ السُنُونُ،
وَكُنِ المَرامِيَ،
كُنْ ثقافَتِيَ التِي تَتَوَاجَهُ الأَزْمَانُ فِيهَا،
وَلْيَكُنْ أَبَدٌ حَنُونُ
مِنْ حُلْمِكَ المُزْدَانِ باللاوَقْتِ،
وَلْيَكُنِ الجُنُونُ
أَقْوَى مِنَ المَوْتِ الهَجِينِ -

أَنَا الذي عَقَدَ الوجُودَ عَلَى حُرُوفِ الوَحْيِ
تَاريخًا بلا زَمَنٍ،
أَنَا الدَهْرُ الحَصينُ
وَأَنَا القَضِيَّةُ فِي خَفَايَا أَبْجَدِيَّتِيَ الكَبيرةِ
سَلَّطَتْ سَيْفَ القَصيدَةِ
فَوْقَ أَطْرَافِ المَدَى نارًا،
أَنَا الشِعْرُ العَظِيمُ،
أَنَا اليَقينُ . . .
أَنَا اليَقِينُ . . .

(١٨ - ٢٠ - آذار - ٢٠٠٨ وتمّت إضافات
صغيرة عليها في ٤ - ٥ أيلول ٢٠٠٨)

أَنَا هَهُنا
مُتَوَحِّدٌ في الحَرْفِ،
أَخْضَرُ مِثْلَ سُنْبُلَةٍ،
أَخُطُّ زَمَانِيَ المَفْتُوحَ للآتِينَ عَبْرَ قَصيدَةٍ
وَأَظَلُّ أَعْلَى مِنْ زَمَاني،
أَيُّهَا المَوْتُ العَقِيمُ،
أَظَلُّ في مَلَكُوتِكَ المُمْتَدِّ حُلْمًا مُسْتَحِيلاً
لا تُطَاوِلُهُ شِراكُكَ،
ثُمَّ أُولَدُ كُلَّ يَوْمٍ في الحُرُوفِ وفي القَصائِدِ.
كُلَّمَا دَقَّتْ يَدَاكَ عَلَى فُؤَادِي لَمْ تَجِدْني.
كُلَّمَا رَكَضَتْ كِلابُكَ خَلْفَ خُطْوي لَمْ تَجِدْني.
كُلَّمَا امْتَدَّتْ يَدَاكَ إِلَيَّ
رَدَّتْهَا القَصائِدُ
وانْكَسَرَتْ عَلَى كِيَاني.

بمناسبة إعلان بيروت
عاصمة عالمية للكتاب